﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٤٩﴾ [المؤمنون: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

أنزل على موسى التّوراة رجاء أن يهتدي بها بنو إسرائيل

كان مآل غطرسة فرعون وقومه أمرين: تكذيب موسى المتسبّب في إهلاكهم بالغرق، وإنزال التّوراة على موسى ﷺ والتي تشتمل على الأحكام والأوامر والنواهي؛ رجاء أن يهتدي بنو إسرائيل إلى الحقّ بأن يمتثلوا ما فيها من الأحكام والمعارف.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَهۡتَدُونَ﴾: (هدي) أصلٌ، ومنهُ الهدى وهوَ نقيضُ الضّلالةِ وخلافُه، ومنْ معانيهِ البيانُ، ومنها إخراجُ شيءٍ إلى شيءٍ، ومنها الطّاعةُ والورعُ، ومنها إذا دلّهُ إلى الطّريقِ، ومعناهُ يقومُ على أصلينِ؛ أحدُهما التقدّمُ للإرشادِ، والآخرُ بعثةٌ لطفٍ، وهما متقاربانِ في معناهما، والمتقدّمُ هادٍ، وذكرَ الرّاغبُ في معنى الهدى أنّهُ التلطّفُ في الدّلالةِ، ومنهُ الهدايةُ في الآخرةِ إلى الجنّةِ وتبيّنُ الوجهةِ بالتقدمِ أوّ الكشفِ[1]، ومعنى ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ في الآية – والحديثُ عن قوم موسى – أي: لعلهم يعملون بما جاء في شرائع التوراة التي أنزلت عليهم ومواعظها[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

آتينا موسى التّوراة ليعمل قومه بشرائعها ومواعظها

بعد أن أهلك اللّه تعالى فرعون ومن معه بالغرق، آتى موسى التّوراة، ثمّ لمّا كان إيتاء موسى الكتاب بحكم إيتاء قومه ختَمَه بقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ فيعملون بشرائعها وأحكامها ومواعظها؛ لأنّ الاهتداء بالكتب الإلهية إنّما يحصل بالعمل بها لا مجرّد العلم بها[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (هدي).
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 189.
(3) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 7/ 195.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في صدر الآية:

عَطْفُ إيتائِه الكتابَ على ما سبق من إرساله إلى فرعون وملئه

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ دالّة على العطف[1]، فقد عطف هذه الآية على ما سبق من إرساله موسى وهارون إلى فرعون وملئه، ثمّ تكذيبهم وما ترتّب عليه من إهلاكهم، فجاءت هذه الآية لتكمل القصّة بالمهم منها من إيتاء موسى الكتاب هدايةً لبني إسرائيل[2]، ويجوز أن تكون استئنافية، يراد منها التمهيد لقصة المسيح عليه السلام، أو يراد منها الإشارة إلى أن إيتاء الكتاب للهداية كأنه قصة برأسها، وفيه بيان خيبتهم في مواجهة تلك المنّة الكبرى بالجحود والخسران.

الغرض من ذكر موسى وحده بعد ذكره وأخيه من قبل:

التّوراة أنزلت على موسى في الطّور وهارون خليفة في قومه

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ خصّ موسى بالذّكر مع أنّه ذكره في آية سابقة مقترنًا بأخيه هارون، وسبب ذلك التّخصيص أنّ الحقّ ﷻ أنزل التّوراة على موسى عليه السلام في الطّور في الوقت الذي كان فيه هارون خليفة في قومه[3]، أو أنّه من باب الاختصار؛ لأنّه الأصل في الإنباء، وهو لا يمنع من دخول هارون معه في الحكم[4].

دلالة التّعبير بـ﴿وَلَقَدْ﴾:

توكيد حقيقة الكتاب المنزل عليهم لتنظيم شؤون حياتهم

التّعبير بـ﴿وَلَقَدْ﴾ في الآية لإفادة التّوكيد، وقد للتّحقيق[5]، بأنّه أعطاهم كتابًا فيه تنظيم العلاقة بين النّاس، وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتنظيم الأسرة، وتوكيد أنّ هذا الكتاب هو دستور الحكم[6].

(1) الخرّاط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 2/ 772.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 66.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 126.
(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 6/ 1296.
(5) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 18/ 49.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5079.

الغرض من القَسَم المحذوف ﴿وَلَقَدْ﴾:

بيان العناية والاهتمام بالمُقْسَم عليه

واللام موطِّئةٌ للقسم، والقسم محذوف، وفي حذفه إيجازٌ، والتعبير بـ ﴿وَلَقَدْ﴾ إيماء إلى أهمية المذكور في الجواب لأنه لا يقسم إلا على عظائم الأمور، وفيه لفت لأهمية مايذكر.

معنى اللام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:

أعطينا موسى التّوراة لتكون منهج هداية وعمل لبني إسرائيل

واللّام في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ دالّة على العهد[1]، والمعنى أنّنا أعطينا موسى ﷺ التّوراة هداية لبني إسرائيل، وعملًا بها[2]؛ فإنّ كتاب موسى إذا أطلق انصرف الذّهن إلى التّوراة كتابهم المقدّس.

الغرض من التعبير بأسلوب الترجّي (لعلَّ):

إرسال الكتاب علة تحقيق الهداية

لعل للتّرجّي: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وهو ترقب وإشفاق، لكنه هاهنا خرج من الترجي إلى التعليل، وإنما اصطفى النظم الكريم حرف الترجي للدلالة على التعليل إيماءً إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعي من تعليق قلبه برجاء هداية المَدْعوّينَ، مع الأخذ بالسبب، وكأن المعنى: ولقد آتينا موسى الكتاب قائلين له اذهب إلى فرعون راجيًا هدايته.؛ فإنّ الكتاب المنزل عليهم – وهو التّوراة – من شأنه أن يترجّى من إيتائه وإنزاله عليهم أن يكون هاديًا لهم[3].

مرجع الضّمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ ودلالته:

رجاء الهداية لبني إسرائيل لا إلى فرعون وملئه

والضمير المتصل بحرف الترجي راجعٌ للقرون التي مضى ذكرها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المؤمنون: 42] "ولا يجوز أن يرجع الضّمير في لَعَلَّهُمْ إلى فرعون وملئه، لأنّ التّوراة إنّما أوتيها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه"[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 66.
(2) مكي القيسي، الهداية الى بلوغ النهاية: 7/ 4969.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 66.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 189.

سرّ العدول عن ذكر الظاهر إلى المضمر في لفظ ﴿يَهۡتَدُونَ﴾:

حاضرون بأجسادهم غائبون بعقولهم لقساوة قلوبهم والتواء طبائعهم

الحديث في سياق الآيات جارٍ عن بني إسرائيل، إلّا أنّه عدل عن ذكرهم صراحة إلى التّعبير بضمير الغَيْبَة عنهم، وفي ذلك إشعار لما عليه القوم من عتوّ وعناد ومكر بآيات الله؛ فإنّهم يسمعون كلام الله، ويرون معجزاته ممّا يأتي بها موسى ﷺ، لكنّهم غائبون لقساوة قلوبهم، والتواء طبائعهم[1].

إيثار لفظ ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

خلوصهم من الضّلالة وتجدّد الهداية في كلّ زمان

أورد لفظ ﴿يَهۡتَدُونَ﴾ لإنقاذهم من الضّلالة، فإنّ بني إسرائيل كانت الضّلالة والتّيه من أخصّ خصائصهم، أمّا اختيار صيغة المضارع فهو للإيذان بتجدّد الحكم، حكم الهداية في كلّ زمان؛ لما يدل عليه الفعل المضارع من التّجدّد الاستمراريّ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهدى والرّشاد:

الهداية استقامة في العلم وهي متضمّنة الرّشد سابقة عليه

يقول الحقّ سبحانه في شأن قوم موسى ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾؛ فجاء بالفعل ﴿يَهۡتَدُونَ﴾، وفعله المجرد من (هدى يهدي) ومصدره (الهداية)، ومعناها الدّلالة مع التّلطّف[2]، وهي مقابل الضّلال، والهدى الاستقامة في العلم، أمّا الرّشد فيستعمل نقيض الغيّ[3]، وهو الاستقامة في العمل والسّلوك، والهداية عمومًا متضمّنة الرّشد، ولمّا أراد الجمع بين المعنيين استعمل فعل الهداية ﴿يَهۡتَدُونَ﴾، ولأمر آخر وهو أنّ الرّشد يتلو الهداية؛ فإنّ الاستقامة في العمل والسّلوك يأتي بعد الاستقامة في العلم وحصول اليقين.

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 1142.
(2) الراغب، المفردات: (هدي).
(3) الراغب، المفردات: (رشد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»